المحتال الوادع

بقلم: هنري سلسار

ضرب الكابتن " أرنست فيشر" الطاولة بيده، وهو يقول:

– ما أشد بلاهتهم..

ورفع الليوتنان هوفمان رأسه من خلف مكانه، ليعرف سبب هذه الضجة، وهذا الغضب المفاجئ، فشاهد الكابتن فيشر يفرك بعض الأوراق بيده، ويقول:

– لقد اطلعت على هذه الأوراق التي وصلت في آخر الأسبوع الماضي، والتي تحتوي على أسماء المجرمين الذين أطلق سراحهم بعد إعفائهم من بقية العقوبة التي حكمت عليهم بها المحكمة.. فوجدت اسم "ميلت بوتر" بينهم..

– ومن يكون " ميلت بوتر" هذا ؟

– أتعني أنني لم أحدثك عنه قبل اليوم..؟

– لا يا سيدي.. انت لم تفعل..

– اجلب الدوسيه رقم ٤٩، التي تحتوي على أسماء المحتالين..

تجد فيها اسم " ميلت بوتر".. وضعها على طاولتي لأحدثك بقصته...

وفعل الليوتنان ما أمره رئيسه أن يفعل.. ووضع الدوسيه على طاولته..

واخذ يقرأ ما فيها:

– ميلت بوتر.. عمره ٣٤ سنة، أعزب، كان موظفا في شركة المترو، للتأمينات..

وصاح فشر:

– هذا هو الرجل.. وهو أهون مجرم رأيته في حياتي، وقد يكون أهد أهم أيضا.. سرق مائتي ألف دولار من أموال الناس، وقد أطلق سراحه الآن..

– لحسن سلوكه..؟

– طبعا.. ومنذ يومين فقط.. وكنت ارتقب خروجه منذ اثنتي عشرة سنة..

وأشعل الكابتن سيجارة، وبعد أن نفث دخانها، مضي يقول:

– لقد وقعت الحادثة في شهر مارس من سنة ١٩٤٦، وكنت ملازمة في البوليس مثلك الآن.. وان كنت أكثر حركة واهتماما.. ودعيت إلى مركز الشركة لم ا عرف المسئولون فيها باختفاء المبلغ الكبير.. ولكني وجدت أني لا استطيع عمل شيء، فقد قام " ميلث بوتر" بكل شيء مكاني..

ولقد كان "بوتر" هذا رجلا غريباً.. كان قصيراً يبدو الحزن والأسى في

عينيه.. وقد توظف في شركة مترو عند خروجه من الكلية، وظل يعمل فيها مدى ثلاثة عشرة سنة، مقابل ستين دولار في الأسبوع الواحد..

" لم تكن له عائلة، ولا أصدقاء، و كان لطيفة عادية رقيق.. ولم يكن هناك من يستطيع أن يحدثك بشيء عنه.. أو يصف لك شكله.. وقد وقعنا على هذه المعلومات لما ظهر لنا بعد اختفائه، وكان يقوم بواجباته في وظيفته دون أن يشكو... أو يتحدث عن الرغبة الملحة في سرقة أموال الشركة التي كانت تجيش في صدره.. مدى سنوات عديدة..

" ثم حدثت السرقة.. وفي ذات يوم لم يذهب "بوتر" إلى الشركة.. ولم يهتم احد لأمره... ولكنه لما لم يظهر في اليوم التالي، أخذ بعضهم يفكر في انه يحسن بهم الاستفسار عنه في منزله لعله كسر رجله... أو أصيب بمرض أو شر، أو ما شاكل هذا من نوائب الزمن..

وتلفنوا يسألون عنه فلم يجبهم احد..

ولم يقلق احد منهم لذلك إلا بعد أيام ثلاثة..

وعندئذ اخذ المسئولون في الشركة يشكون بالأمر، ويتساءلون عن سبب غيابه..

اخذوا يفحصون دفاتره على الأثر، فوجدوا انه قد استلب مائتي ألف دولار، وكان " بوتر الشخص الأخير الذي يمكن الأحد أن يفكر بأنه قد يرتكب مثل هذه الجريمة .

"هذا هو الرجل الوديع الذي لم يكن يفكر به أحد من الناس، ولا

يرتاب به رجل من المسئولين في الشركة..

« وكلفني المدير بالتحقيق في هذه القضية.. وذهبت إلى الشركة لتحقيق الأمر معهم، ثم مضيت أبحث عن "بوت" فلم أجده في المنزل الذي يسكنه، وأخبرتني صاحبة المنزل انهال تشاهده منذ أيام، ولا تعرف مكانه.. وان ملابسه وحقائبه لا تزال في غرفته، وقد فتشت الغرفة فلم اعثر على شيء يستحق الذكر فيها، ولكني وجدت عددا كبيرة من الإعلانات التي توزعها الشركات البحرية لتدعو الناس للسفر على بواخرها، فتأكد لي عند رؤيتي هذه الإعلانات، انه سيحاول مغادرة البلاد إلى الخارج..

« أخذت ابحث عنه في كل مكان، لعلى أوفق إلى توقيفه، فيقدر المسئولون براعتي، ولكن هذا القذر حرمني من الترقية، و من كلمة من كلمات التقدير، لأنه ظهر بعد أسبوع، وتقدم إلى دائرة البوليس مسلماً نفسه..

" ولم أتعجب بالتأكيد لحركته هذه.. فان كثيرين بعد جريمتهم الأولى يفقدون أعصابهم، ولكن "بوت" لم يكن يبدو كذلك لما أقبل على دائرة البوليس لتسليم نفسه..

كان هادئاً مطمئناً.. اعترف بأنه استلب المبلغ ورفض أن يعيده لأصحابه، وقال: افعلوا بي ما تشاؤون..

أخذت أحقق معه مدى ساعات.. لأعرف المكان الذي وضع فيه مبلغ المائتي ألف دولار، ولكنه ظل هادئا أيضا خلوقاً طوال كل ساعات التحقيق .

فهو مستعد للاعتراف بجريمته وتوقيع الأوراق اللازمة، وعلى استعداد للذهاب إلى السجن، وأما إعادة المال المسروق أو الإشارة إلى مكانه، فهذا لن يكون أبدا..

أخذت أناقشه، وأحاول إقناعه بعواقب عمله هذا وان المحكمة قد تحكم عليه بالسجن عشرين سنة، وقد يموت في سجنه" ولن يفيد من المال الذي سرقه، وانه إذا اعترف مكانه أو قرر إعادته إلى أصحابه، فان الحكم عليه سوف يكون لينا، لان هذه جريمته الأولى، وفي مثل هذه الحالات سوف تتساهل المحكمة معه، ولا تحكم عليه حكماً قاسياً..

ولكن "بوتر" لم يقنع بكلامي.. واعترف بأنه اخذ المال المذكور لأنه ظن انه يستطيع الإفادة منه، والنجاة بجلده، ولكنه لما وجد انه ليس متعودة على حياة المطاردة، وأنه لا يستطيع الصبر على مطاردة البوليس له، ولا تعود على هذا، فقد قرر تسليم نفسه..

وأما أين المال المسروق، وما الذي فعله به، فهذه قصة ثانية، وهو ليس مستعدة لبحث هذه القصة..

وكذلك انتهى التحقيق معه.. وأحيلت الأوراق إلى المحكمة، وكانت المحاكمة قصيرة جدا، فقد اعترف " بوتر" بسرقة المال، وحكمت عليه المحكمة بالحبس خمسة عشر سنة...

وكنت طبعا اعرف غرضه من وراء هذه الرواية.. و كذلك كان يعلم الناس.. .

لقد كان يريد الاحتفاظ بهذا المبلغ المسروق، لليوم الذي

يغادر فيه سجنه لينعم به، ويقضي الباقيات من أيامه في سعادة ورفاه..

ويبدو أنه لم يكن من الأشخاص الذين يضيقون ذرعاً بحياة السجون..

فقد صرف خمس سنوات في الجيش مدة الحرب، فلم يتذمر ولا تشكى، كان النظام يرضيه، وحياة التقشف تلائم مزاجه، وكان يسره أن يقال له افعل هذا، ولا تفعل ذاك، وقد حاولت إقناعه بان الحياة في السجن تختلف كثيرا عن حياه الجندية، ولكنه لم يقنع ولا بدل موقفه..

كان هذا كله في سنة ١٩٤٦ طبعاً..

وذهب "بوتر" إلى السجن بعد صدور الحكم عليه، وكان في السجن مثالا للهدوء والرزانة وطاعة الأوامر، والمحافظة على النظام.. .

كلفوه العمل في المكتبة طوال مدة سجنه و صرف وقته في القراءة ومطالعة كتب الرحلات بصورة خاصة، ونظرا لحسن سلو كه صار تخفيف مدة الحكم عنه إلى اثنتي عشرة سنة، وقد أصبح الآن حرة، وغادر السجن منذ يومين، ولكن هذا لا قيمة له، ولسوف اتصل به قريباً..

وكان الكابتن فيشر قد دخن سيجارته الثالثة في أثناء هذا الحديث، فسأله هوفمان:

– ما رأيك يا سيدي.. هل يتمكن "بوتر" من استثار المال المسروق الآن ؟

وهز فيشر رأسه حزيناً وقال:

– هذه هي عقدة القضية.. لقد أنذرته حين حققت معه قبل صدور الحكم عليه، بأنه لن يفيد من المال المسروق، ولكنه لم يقنع ولم يصدقني.. فهذه الأموال المسروقة لا تخصه ولا هي ملكه، وإذا ظن أنها أصبحت كذلك بعد أن نفذ الحكم الذي صدر عليه بسببها فهو واهم، ولسوف أزوره، وأقول له في وجهه... ان المبلغ لن يفيده ولن يستطيع استثاره..

– أتعني أنك ستزوره اليوم ؟

– طبعاً، فقد كنت انتظر هذا الاجتماع منذ زمن طويل..

وكان عنوان الشقة التي يقيم فيها "بوتر" في الوقت الحاضر، والتي حصل عليه الكابتن فيشر من مديرية السجن، لا يبعد كثيراً عن الشقة التي كان بوتر يسكنها قبل الحكم عليه.. اذ كان من المفروض على كل من يغادر السجن قبل انتهاء المدة المحكوم بها، لحسن سلو كه، أن يظل تحت مراقبة البوليس، مدة من الزمن ليتأكد المسئولون من انه لم يقم بخرق القانون مرة ثانية في أثناء هذه الفترة..

وكان "بوتر" في ملابسه لما طرق فيشر باب الشقة.. وكان هو الذي فتح الباب له..

ولم يكن الرجل قد تبدل كثيرة مدة سجنه، إذا استثنينا الخيوط البيضاء التي أخذت تتسلل إلى شعر رأسه..

وبدا دهشاً حين شاهد الكابتن فيشر..

وقال فيشر يعرفه بنفسه:

– أنا الكابتن ارنست فيشر..

وأجابه بوتر:

– طبعا عرفتك تفضل بالدخول..

– شكراً.. لقد كنت الليوتنان، فيشر لما اجتمعنا الآخر مرة يا مستر بوتر..

وأشار " بوتر " إلى مقعد جلس عليه فيشر، ودار ضابط البوليس ينظر إلى ما حوله، فشاهد حقيبة مقفلة موضوعة على السرير..

وقال بوتر:

– ما الغاية من هذه الزيارة يا كابتن..؟

– لقد جئت للتحدث إليك.. فإننا لم نجتمع منذ مدة طويلة..

– هذا صحيح..

– ولقد عرفت انك كنت حسن السلوك في السجن، وان أحدا لم يوجه إليك لوما ولا شكوى.. وقد أفادك حسن سلوكك هذا، فخرجت قبل انتهاء مدة الحكم بثلاث سنوات..

وقال بوتر دون أن يرفع نظره إليه:

– نعم هو ما تقول..

ومضى الكابتن فيشر يقول:

– لن أدور حول الموضوع يا مستر بوتر.. فقد زرتك الغاية معينة، فان

البوليس وشركات التأمين لن ينسيا المائتي ألف دولار التي استلبتها من الشركة، وإذا ظننت أن السنوات التي قضيتها في السجن تؤهلك للإفادة منها واستثمارها فأنت واهم..

ذهب " بوتر " يغسل يديه دون أن يقول شيئا..

ومضى فيشر في حديثه قائلا:

– والواقع أن الجميع يعلمون غرضك من تسليم نفسك وذهابك إلى السجن، فقد ظننت أن هذا يجعل لك حقا في المال المسروق عندما تخرج من سجنك، ولكن الأمر ليس كذلك في الواقع، وأريدك أن تعلم أني كثير الاهتمام بهذه القضية، وسأهتم بهذا الأمر شخصية، بحيث لا أتركك تفيد من المبلغ الذي حصلت عليه وأخفيته..

وإجابه بوتر:

– انك تنظر إلى الأمر من ناحية خاطئة يا كابتن..

– أتظن ذلك ؟

– هذه هي الحقيقة.. فقد استلبت هذا المبلغ لأني كنت شديد الرغبة في القيام برحلة حول العالم، وبعد أن فعلت ذلك، وجدت أني أخطأت، واني لست من المجرمين بالتأكيد...

وتقدم " بوتر " فجلس على المقعد القريب من الكابتن ومضى يقول:

– ولم يكن بإمكاني ان أتحمل مطاردة البوليس لي، والحياة في الخفاء وتحت الخطر الداهم.. قد تكون مرت بي ساعات فكرت فيها بالإفادة من

المبلغ بعد أن اقضي مدة الحكم الذي صدر علي.. ولكني عدت إلى نفسي بعد ذلك فوجدت إني لست من الأشخاص الذين يحسنون الهرب من وجه البوليس، ولا من هؤلاء الذين يستطيعون ان يحيوا حياة غير مستقرة، لا انعم بالحياة، ولا أجد فيها لذة ولا نشوة..

ونظر إليه فيشر إليه دهشا متعجبة.. ومضى بوتر يقول:

– لقد فكرت في هذا كله أثناء سجني.. واستقر بي الرأي على أني لست من المجرمين، ولا من الذين يستطيعون الحياة تحت مطاردة البوليس ومضايقاته.. ولهذا قررت ما يجب على عمله.. فإذا أردت المال الذي أخذته، فاني مستعد لرده..

– ماذا تقول ؟

– وكل ما أريده ان أعيش في سلام.. لا يضايقني إنسان، ولا يزعجني احد..

– إذن ان المال ؟

– هنا في هذه الغرفة..

ونهض من مكانه، ومضى إلى الحقيبة، ففتحها، فإذا هي مليئة بالأوراق المالية..

رفع الموظف في الشركة البحرية رأسه لما سمع الرجل القصير يقول له:

– إني أريد السفر حول الأرض..

– "وأريد ان أقوم بهذه الرحلة في كثير من الرفاه والراحة..

– أمرك يا سيدي... و تنفس " بوتر " الصعداء..

فقد اخذ يستشعر بالتعب بعد العناء الذي صرفه في الأيام الثلاثة الماضية، حين زار عشرين بنك، ووقع على الأوراق التي قدمت له من هذه البنوك بأسماء مستعارة يختلف الواحد فيها عن الآخر، ليسحب الأموال التي أودعها هذه البنوك قبل ذهابه إلى السجن، ولكن هذا العمل قد انتهى الآن، و استرد المبالغ التي وضعها في البنوك مع فوائدها مدى هذه السنوات العديدة التي قضاها في السجن، ولمارد المائتي ألف دولار إلى الكابتن فيشر، وجد أن الفوائد التي نالها من استثمار هذا المبلغ، قد بلغت أربعة وثمانين ألف دولار، وهو مبلغ وان لم يشكل ثروة عظيمة، إلا انه على كل حال،مبلغ لم يكن باستطاعته آن جمعه أو يقتصده لو ظل في وظيفته مدى الاثنتي عشرة سنة التي قضاها في السجن..